المكتبة الخضراء للأطفال

٤٨

أمير فى بلاد الأقزام

بقلم

ثريا عبد البديع

رسوم

عبد المرضى عبيد



المكتبة الخضراء للأطفال

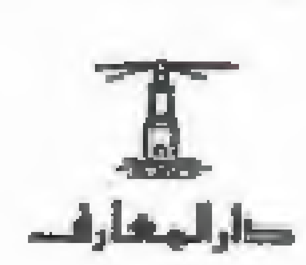


أمير فى بلاد الأقزام

الطبعة الثالثة

بقلم
ثريا عبد البديع

رسوم
عبد المرضى عبيد



مسحَ أمير بيدهِ عَلى الصُّورةِ المعلقة عَلى حائطِ غُرفتِه، وهيَ صورةٌ كبيرةٌ للأقزَام السَّبْعة.

قَال: «تُصبحُون عَلى خيرٍ يَا أصحَابى..»

وقبَلَّ كلَّ واحدٍ منْهم قُبلتَه التِى اعتَادَ عليهَا كلَّ مسَاء؛ فرأى الأقزَامَ يبتَسمُون له؛ ليردُّوا تحيتَه. ثمَّ ذهبَ إلى الفِرَاش وضَمَّ إليْه لعبتَه المحْبوبةَ مغمضًا عيْنيه، وراحَ فى سُبَات عَميق. فرأى الأقزَامَ يلتفُّون حَوْله، يحمِلُونه مِنْ فوق الفِرَاش إلى أعْلى، ثُم يخْترقُون به النافذةَ التِى أغلقهَا بنفْسِه، فسَألهَم:

– ما هَذا؟ ما الذِى يحدُث؟؟

ولمْ يجبْه أحَد.

– ألا تتكلَّمُون؟ هل أنتمْ أقزَامٌ حقِيقيُّون؟ أم خَيَال؟

ولم يجبْه أحدٌ أيضًا.

– هل أنتُم تطِيرُون؟.. وإلى أينَ نحنُ ذاهبُون؟

ولمَّا رأى كبيرهم هلعَ أمِير وخوْفه، أرادَ أنْ يخففَ عنْه فقَال:

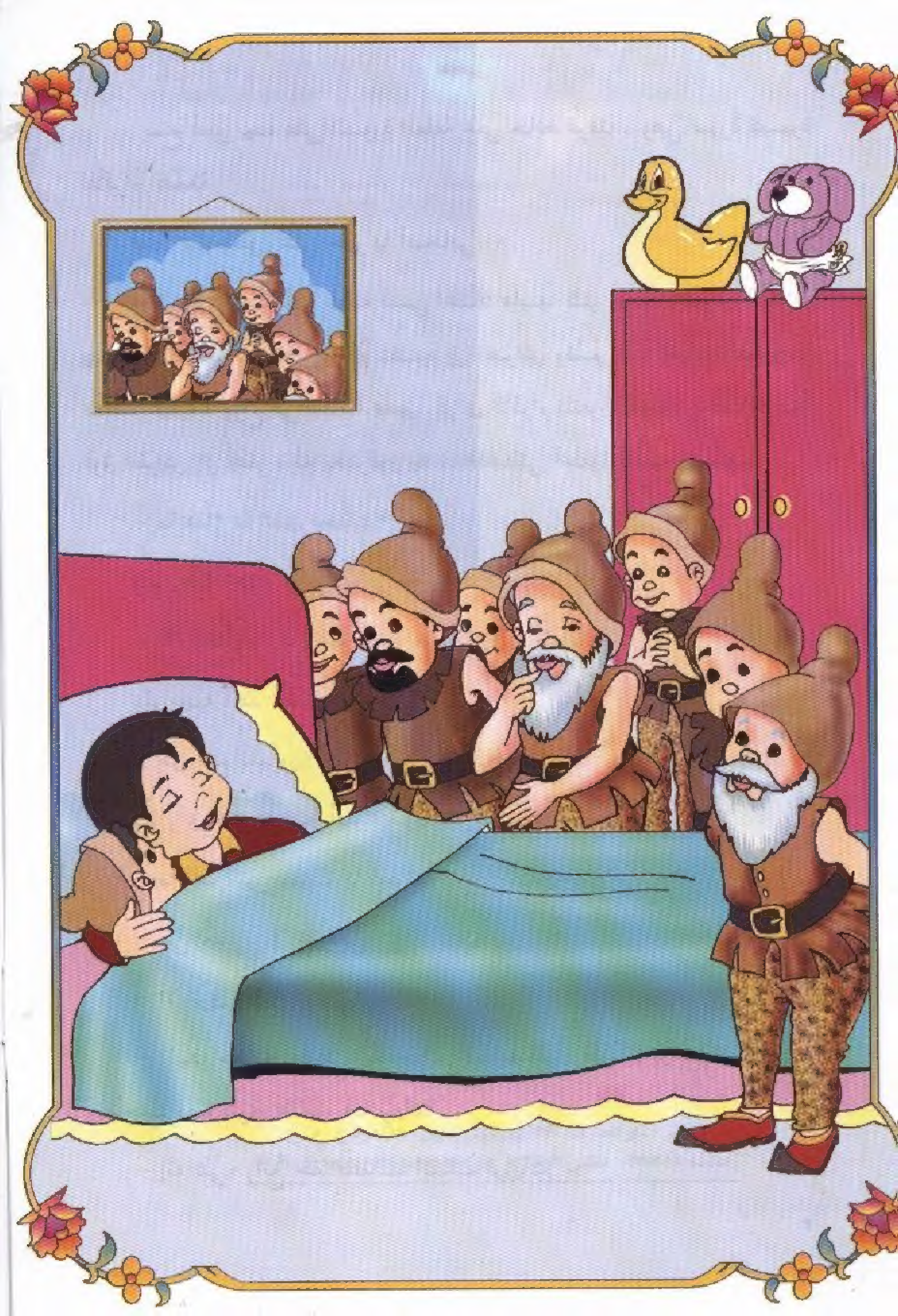
– ما تِلْكَ التِى بيمينِكَ يا أمِير؟

– هى لعْبتى، لا تفارقنى.

– ألا ترَى أنَّهَا تشبهُنى؟

– ولهذا حضَرنا، فلقد رأينا حبَّك الشدِيدَ لنا، فأرَدْنَا أنْ نرَاك وترَانا، ونصْحبَك معنَا لترى عَالمَنا، فمَا رَأيك؟

– إنه شَيء رائعٌ حقًّا فلَطالـمَا اشتقتُ لرؤيَاكم.



ارتفعَ الأقزامُ بأمِير إلى أعْلى وأعْلى، وحلَّقوا به فِــي الفضَــاء، اقــتربُوا مــنَ القمَر فتعجَّبَ أمير.. «ياه أهذَا هوَ القمرُ الذِى أراهُ منْ نافِذتى كلَّ مسَاء؟»

فحيَّاه وابتسمَ لهُ القمَر، مرَّ بنجُوم كالدُّرَر وسُحُب كالبُسُط، اسْتمتعَ أمـير برحْلتهِ، فالسماءُ صَافيةٌ والهــواءُ عليـلٌ، ثـمَّ تلـك الصحبـةُ الجميلـةُ للأصدِقـاءِ والأطيَار، استقبلَ برئتيْهِ الهوَاءَ وقال: «وكأننِى فى حُلْمٍ جَمِيل.. ليتَهُ يطُول».

وبعَد قليل: وجدَ أميرُ الأقزَام يهبطُونَ به بيْــنَ الغابَـات، حيـثُ مجموعَـةٌ متراصة منَ الأكواخِ المبنيَّةِ بالأخْشَاب، اندهشَ الصَّغيرُ حينمَا رَأى نفسَهُ كبِيرًا.. بالمقارنةِ بكل مَا حَوْله.

وجدَ أعدادًا غَفيرَةً منَ الأقزامِ فى انتظَاره؛ ليسلِّمُوا عَليْه، فســألَ أصْدقـاءَهُ الذِين أحاطُوا بِهِ ولَمْ يفارقُوه:

– هلْ كانُوا يعلَمُونَ بقدُومِى؟ وكيفَ سأسلِّمُ عَلى هؤلاَءِ جميعًا؟؟

بدأ الأقزَامُ يصْطفُّونَ فى صُفوفٍ بينمَا يمرُّ عليْهمَ أمِير. ولَّما تعِبَ ظهْرُه مــنَ الانحِنَاء، أجلسَه الأصدِقَاء، ليستريحَ، فِى حينَ يمـرُّ عليْـه الأقـزامَ، يتدافعُـونَ تجَاهَهُ، يتجَاذبُونَه، فمنْهُم منْ يشدّه مِنْ يدِهِ، بينمَا يدُهُ الأخْرَى معَ آخر.. فِى حينَ يتحسَّس ثالثٌ قميصَهُ أوْ بنطلُونَه. نظرَ أمير إليهمْ، فوجَـدَ نفسَـه الوحِيـدَ الَّذِى يرتدِى الثَّيَاب. إذْ كانُوا كلهم يغطُّونَ بعضَ أجسَادِهِم بالجلُودِ. سَألهُ أحدُ الأقزَام مندهشًا وهُوَ ممسكٌ بقَمِيصِه:

– ما هَذَا؟

وسَألَ آخر:

– وكيفَ ترْتدِيه..؟



وأضاف ثالث: قلْ لنَا كيفَ نعمَل مثْله؟

رَدَّ أمير:

– هذَا قمِيص، وهـذَا بنطلُـونٌ، وهمَـا مـنَ القمـاش، ويُصنعَـان مِـنَ القطْـن أو الصُّوفِ، أو الخيُوطِ المخْلُوطة.

– نرِيدُ أنْ نرتدِىَ مِثْلَك.

– نعمْ إنهَا ملابسُ جَمِيلة.

– نعَمْ.. نعَمْ.. علِّمْنا منْ أينَ نأتِى بهَا، أوْ كيفَ نصنعُ مثْلَهَا؟

ثُمَّ صاح أحدُهم:

– هيًّا إلى الطعَام.

تهيَّأ أمِير، فإذَا بِهم قدْ أعدُّوا وليمَةً كَبيرة، كانتْ مِنَ الشوَاءِ والخضْراوَات الطازجَةِ والجذُور وبعض أورَاقِ الأشجَار، معَـهَا حبـوبٌ جَافـةٌ لمْ يعْـرفْ منـهَا إلاَّ الفُولَ السُّودَانى.

أشـار أمـير إلى بعْـضِ الأقـزَام الذيـن كـانُوا يضعُـون شـيئًا لا يعرفُـه بـينَ أسنانِهم، ويحركُونه ذهابًا وإيابًا.

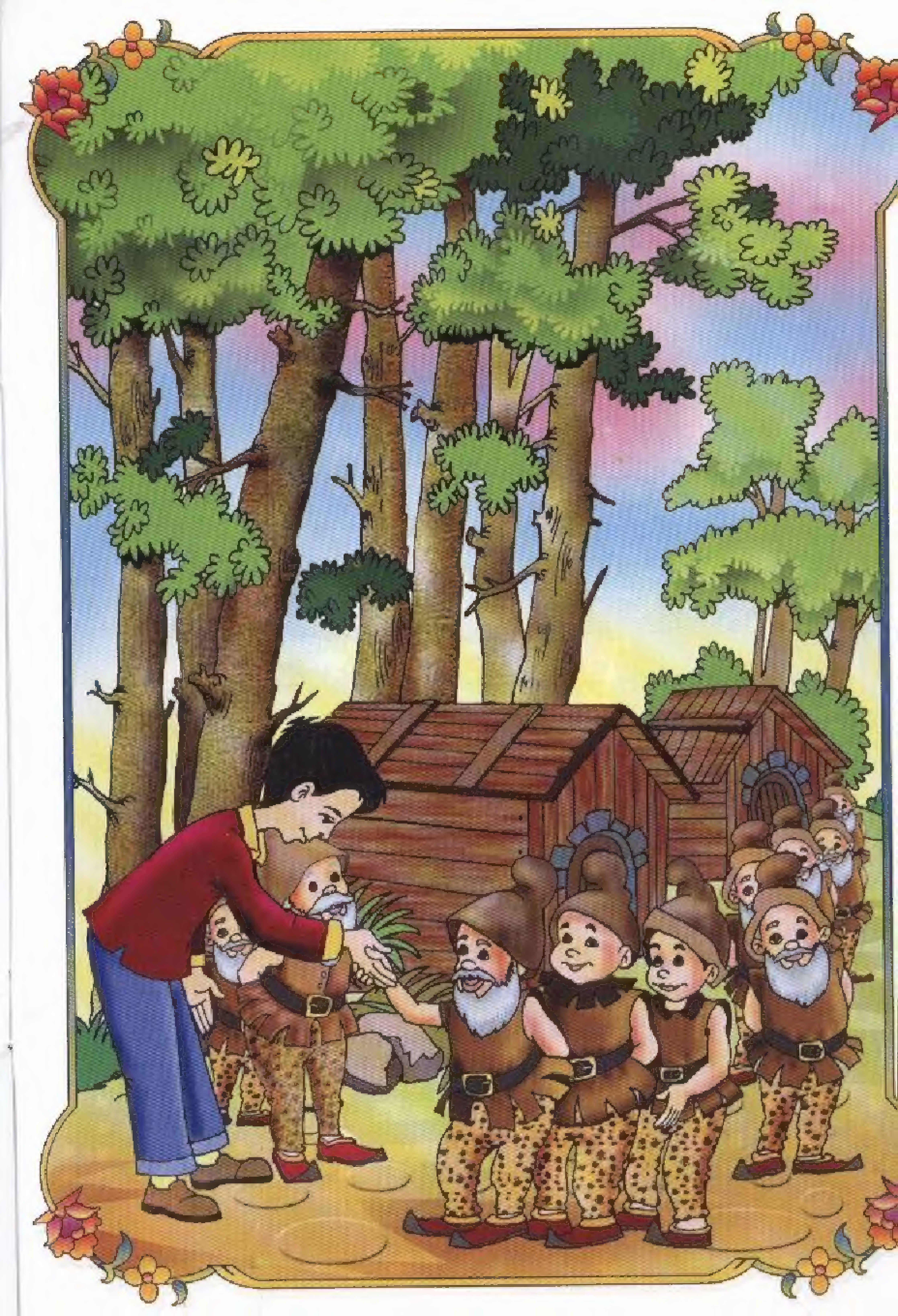
فسأَلَ كبيرُهُم:

– وماذَا يفعلُ هؤُلاَء؟

قَال:

– إنهُم يسنُّونَ أسْنَانهُم استعْدادًا للطَّعَام.

تعجَّبَ أمير، ثُم قالَ فِى نفْسِه ضَاحِكًا «لَهُمْ الحقُّ فإنَّ تلـكَ الأطعِمَـةَ فِـى حاجَةٍ إلى طاحُونةٍ، وليسَتْ إلى أسْنَان».



لَمْ تَمْتد يدُ أمير إلى الكَثيرِ منَ الطعَام، مكْتفيًا بلقيْمَاتٍ مغموسة بالعسَل، وأكْل بعض الفُول السُّودَاني. وبعْدَ أن انتهوا، ودَّعَ الأصدقَاءُ السَّبْعَةُ إخوَانَهُم، بينمَا شكَرَ أميرٌ أفرَادَ القَبيلة، لِهذَا الاحتفاءِ الشَّدِيد. وذهبَ معَ أصْدقَائِهِ لطلب الرَّاحة بعد عنَاءِ يوْمٍ طَويل.

لمَّا وصَلُوا إلى الكُوخِ، وجدَ أمير ارتفاعَه لا يزيدُ عَنِ الثَّلاَثة أقدامٍ، فدخَل بصُعُوبةٍ لضيق المكَانِ، وقَال وهو يغالب شعوره بالحرج:

– سوفَ أضيِّقُ عليْكُم المكَانَ بلاَ شَك.

ردَّ القزمُ الأوَّلُ:

– لاَ.. لاَ، أهلاً بكَ ضيفًا عَزيزًا.

– ردَّ الثانِي: أمير سوفَ يَبيتُ مَعِي.

– قَالَ الثالث: لا بلْ سَيَبيتُ مَعِي أنَا.

– قَالَ السابعُ: فَلْيَخْتَرْ هو. مَا رَأيك – أرَى أنكَ تُريدُ النومَ عَلى سَريرِي.

حَاولَ أمير النومَ عَلى أحدِ الأسِرَّة. ولكنْ قدمه خرجت لمسافة كبيرة، فأعدَّ لَهُ الأقزامُ فِراشًا وَثِيرًا يناسبه. أسْدلَ الليلُ ستارَه، فأغمضَ أمير عيْنيْه لينامَ، لكنَّهُ لمْ ينم، إذْ تذكَّرَ وَالديْه وأختَه، وقالَ فِي نفْسِه:

«هذه هي الليْلَةُ الثانيةُ لِي خارج البيْت.. آه كمْ اشتقْتُ لَكُمَا يا أمِّي ويَا أبي. وكمْ اشتقت إليك يا أماني.. لابد أنكِ تستعِدينَ الآن للنوْم.. لنْ أستطيعَ الذهابَ غدًا إلى المدرسَة.. أمِّي لابدَّ أنكِ حَزينةٌ لفقْدِي. ليتكُم تعلمُونَ أنِّي

هُنَا..» وأخذَ يبْكِي، تنبَّهِ إلى بكائِه الأصدقَاءُ، فأسرَعُوا إليْه، والتفُّوا حوْله قائلين:

– ماذَا بكَ يا أميرَنا؟

– هلْ أغضبَكَ أحدُنا؟

– لا لقد تذكرتُ والدىَ وأخْتى.. إنهَا الليلةُ الثانيةُ وأنا بعِيدٌ عنْهم..

– لا تحزَنْ، إنكَ لمْ تقضِ معنَا سوَى سَاعتيْنِ فقطْ، وليس ليلتيْن.

وقَال الثَّانِي مؤكِّدًا كلامَ أخِيه:

– نعمْ إنَّ يومنَا غيرُ يومِكُم، فإنَّ الساعةَ عندَكُم بيومٍ عنْدنا.

بدَت عَلى أمير علاَمَاتُ التعجُّب:

فقال أحدُهم: ألا تصدقنَا؟

– لا، بلْ هذَا شيءٌ غَريب.

– سوفَ نذهبُ بكَ غدًا إلى «سيدَةِ الأخبار»، لتطمئِنَّ بنفْسِك.

تسَاءلَ أمير:

– ومنْ هِيَ تلكَ السيِّدَة؟

– هِيَ واحدةٌ مِنَ السحَرةِ والكُهَّان، لديهَا كُرَةٌ مسحُورةٌ تخبرُهَا بجَميعِ الأخبَار.

تركَ الأقزَامُ أسِرَّتَهم، وافترشُوا الأرْضَ معَ أمير، حتى يأتنِسَ بهم ولا يعُودَ للبُكَاء. احتضَنَ لعْبتَه، تنبَّهَ لوجودِهَا الأصدِقَاء. قالَ أحدُهم:

– أهذِه لعْبة؟

وفجأة خطفها أحدُهم.. وقفزُوا منْ فوق الفراش يتقاذفُونـها فيمـا بينـهُم. بينما هُو حائرٌ بينَهُم، ولا يستطيعُ أخذهَ منْهُم. أخـيرًا انتزعـها، وكـم كـانت دهشته عندما خرجَ منْ عينيْه ضوءُ أحمرٌ. ابتعد الأقزام صائحين:

- عفْريت عفْريت .!

تعجب أميرُ. وقال فى نفسه:

عجيب. ماذا حدث للعْبتى؟ لم أر مثل هذا الضوء من قبل!

قال لأصدقائه إنه يشبه ضوء الليزر

سأل أصغرُهُم

وما هُو هذا اللِّيزر؟

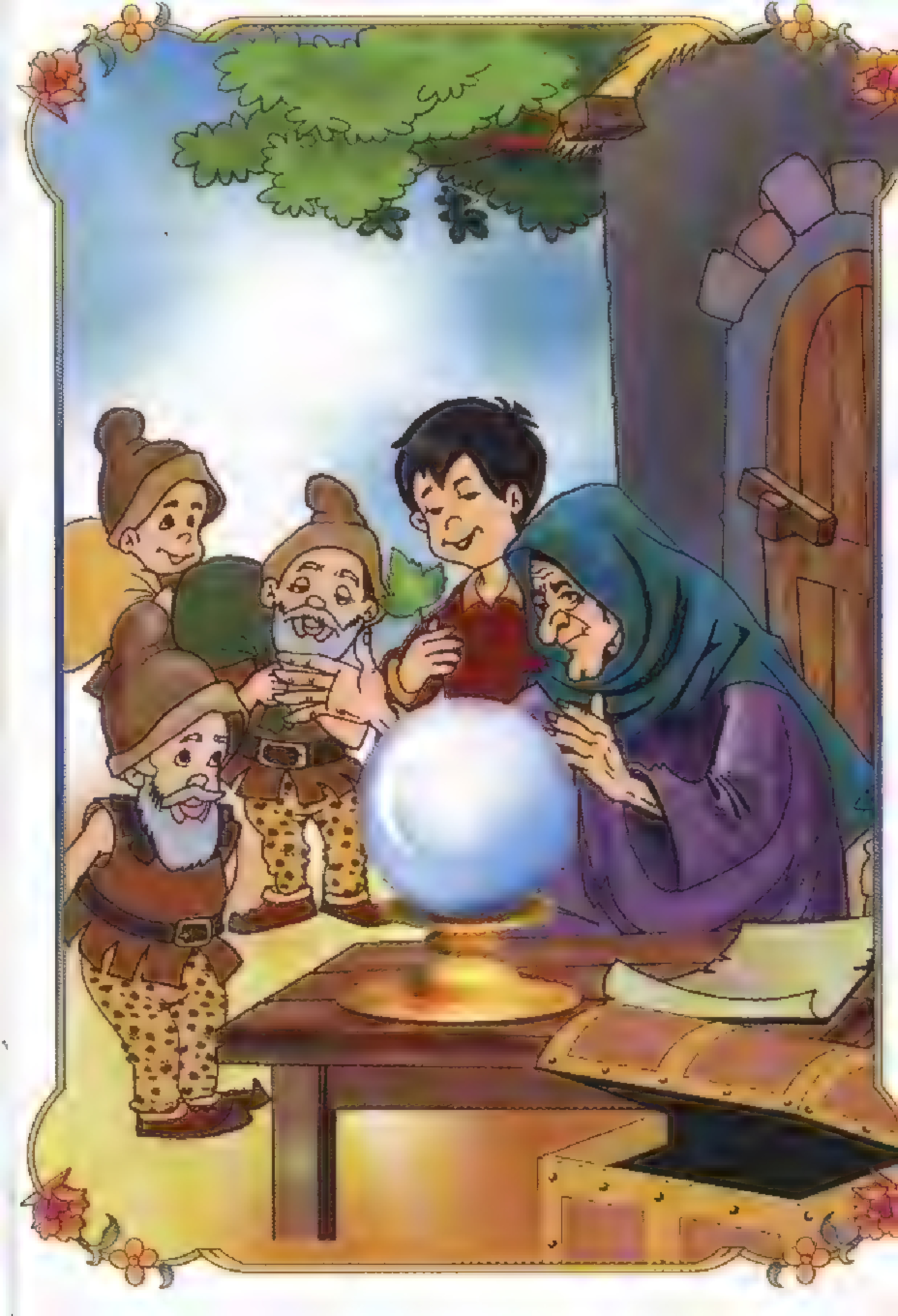
طاقةٌ ضوْئيـــةُ شـديدةُ القـوَّة. تسـتخدمُ فـى الصناعـة وفـى الطـبّ وفـى العمليات الجراحيّة

تعجَّب الأقزامُ، وقال أحدُهُم:

ي لهُ منْ شيء جميل.. أريدُ بعْض من اللِّيزَر.

مرّت الساعاتُ.. حتّى أشرقت الشّمْس. وأيقظتْ بنورها الجميع.

صحا أميرٌ. وباله مشْغُول بسيدة الأخبـار. اصطحبـه الأقـزام إلى السـيدة. بعدمَا قطعُوا الطريق إليها بسرْعة شديدة. وهنك وجدها سبدة عجُـوزا، تجلـسُ أمام كوخهـ. وتضعُ على منضدةٍ أمامها كرةً بلُوريّة. وكنت تختفى وراء جمْـع من النَّس. وقدْ حمل كلُّ واحدٍ منهُم لهـا مـا اسـتطاع مـنْ زرْعـه. حتّـى جـء بعضُهُم بمَا يملكُ منْ حيوانات. لتجيبَ عنْ تساؤلاتهم . فمنْهُم من يسألُها عنْ



خبر لتجرة لهْ فى بلاد بعيدة.. ومنْــهم مـنْ يسـألها عـنْ أخيـه المسـافر وهـى تُجيبُهُم بعد أن تهمس للكُرة وتنظر فيها .

أعْطى لها الأقزامُ الكثير من الحبوب الجافّه. لتجيب عنْ سؤال أمهر الذى اقترب منها قئلا.

السلامُ عليْكُم. أريدُ أنْ أطمئنّ على والدىّ وأخْتى.

– قلتْ. امسكْ هذه الكرة. و قرأ ما بهذه الورقة بصوتٍ منْخفض..

أمسك أمير بورقة الشجر التى أعطته له. وقرأ المكتوب عليه. ولـما نظر فى الكرة رأى غرْفته.. وأخته نائمة على سريرها المجاور لسريره . وكوب اللبن الفارغ الذى تركه.. وكُتُبـه وأقلامـه علـى مكْتبـه. تمام كمَا تركـه نظـر إلى نتيجة الحائط فوجدها بتريخ السّابع منْ أبريل وكان البيتُ ساكنا ولمح ساعة الحئط. فوجدها تشيرُ إلى الثنية عشرة. قـل فـى نفسـه الحمـدُ لله. نعـمْ.. الأقزامُ صادقُون .

طمأن أمير. وذهب مع أصدقائه للعودة إلى الكوْخ. وبينم هُم فـى الطريـق رأى بعض لصّغار. يتسلّقون الأشجار. فقل لرفقه:

- أودُّ اللعب قليلا فم رأيكُم لوْ شركْناهم؟

– وهلْ تستطيعُ تسلق الأشجر؟

– بالتأكيد هيّا بنا

ولمّا اقترب منهم وجدهُم رجلا. قـد انتـهوا مـنْ أعمـال الصّيْد والقنْص. وبدأوا يمارسُون هوايتهُم فى مرح وسُرُور

اقترب الأصدقاءُ منهم ومعهُم أمير. تسابق الجميعُ، ومـا هـى إلا لحظـاتٌ حتّى وصلَ الأقزامُ إلى أعْلى الشجرة في حـين كـان «أمـير» لا يـزالُ يجـاهدُ ويجاهد. فيقدّمُ رجْله اليمْنى. فتنزلقُ اليسْرى وظلّ كذلـك، حتّـىٰ بلـغَ بـه الإعيَاءُ أشدّ مبلغ، إلى أن توقف عن تكرار المحاولة. قالَ لهُ القزمُ الأولُ ضاحك:

- لماذا توقّفْت يا بطل؟

قالَ الثانى: هلْ تطلُع أم ننْزلُ إليك لنحْملك؟

ردّ أمير: لا.. لنْ أطلع أكثر منْ ذلِك. فـإنّ أفـرع الشـجرة ضعيفـة. ولـنْ تحمِلنى وقدْ أقع

نـزل الأصدقـاءُ إلى حيـثُ جلـس أمـير. والتفُّـوا حوْلـه. كـلٌّ علــى فـرْع يتضاحَكُون ويتسامرُون.. سألهُم أمير:

- ومَاذا لديكُم منْ ألعاب تمارسُونها غيرَ تسلُّق الأشجَار؟

- نتسلّقُ الجبَال..

ضحك أمير وقَال

- أليسَ لديكُم إلا التسلُّق؟

- يمكننا أنْ نذهب للصيْدِ. أو نلْعب بالسهم والنبال.

- وما هىَ ألعابُكم يا أمير؟

إنَّ عندَنا ألعابا كثيرة.. فرديّةَ مثْل. حمْل الأثقل. والجرْى. وأخْـرى جماعيّةَ مثْل كُرة القدَم. وكرةِ السَّلّة والبُولِينْج.. كما أنّ هناك ألعاب حديثة هى ألعابُ الكُمْبيُوتر..



ولمْ يكدْ أميرٌ يكملُ كلمته، حتّى وقع منْ فوق الشّجرة.

أسرع الأقزامُ بالنزُول. نظرُوا أسفل الشجرة فلمْ يجدُوه. بحثُوا هنا وهناك.. تحيَّروا. وظلُّوا يبحثُون في كُلِّ مكان. حتّى بكى أصغرُهم وأكبرُهم وظلوا ينادُون

- أمير أمير.

أين أنتَ يا أمير.. أين ذهبْت؟

قال أحدهم: ماذا حدث. فقدْ نزلنا إليْه في ثوان فأيْن ذهب؟

وتوجّه الآخر إلى السماء رافعا يده.

- يا إلهي أعدْهُ لنا سالمًا، لنعيده إلى أهْله ووطنه..

أسدل الليلُ ستاره. بينما همْ في بحث دائب، أخذوا يشعلون المشاعل وأخذوا يجوبُون الغابة وينادُون اشتركت معهُم بقيةُ القبيلة في البحْث عن الضيْف العزيز.. وأخذوا ينادُون: أمير. أمير.. ولا منْ مُجيب.

أما أمير فقد سقط في حفْرةٍ كبيرةٍ مغطَّاة بالأعشاب والحشائش. لا يمكن اكتشافها. وقع أمير مغْشيًّا عليْه. ولمَّا أفاق تلفَّت حوْله. فلمْ ير شيْئ. الظلمةُ حالكةٌ. والمكانُ مُوحش. حاول الحركةَ. فلمْ يستطعْ فحدّث نفسه: «يا إلهي إنّ قدمي تؤْلمني كثيرا أرجُو ألاّ تكون قد انكسرت..»..

مرَّ وقتٌ طويل وهُو ما يزال في هذا المكان. بدأ يشعرُ بالجُوع والعطش. أمعن النظر حوْله. فتبينت لهُ بعض ملامح المكان. إذ هداه بصيصٌ منْ نُور. لمْ تستطعْ الأعشابُ أنْ تمنعه من الدخول إلى الحفْرة..



رأى أنَّهُ على عمْقٍ منْ سطْحِ الأرْض. بحث عنْ لعْبته التى كانتْ معه حتَّى وجدها على بعْدٍ منْه.. جاهد حتى أمسك بها. ثمَّ نفض عنها التراب وقال

الحمدُ لله أنك معى أيُّها القزمُ الصّديق. لتؤنسنى فى وحْدتى..

ولما أضاءت عيناه. اطمأنّ أنه لازال كمَا هُو. ولمْ تؤثرْ السقْطةُ عليْه. فقبّله عدة مرات.. فزاد النورُ الخارجُ منْ عيْنيْه. حتَّى ملأ عليْه المكان

هلّلَ أمير. وضمَّ القزم إلى صدْره. تلفّت حوْله. فوجد أنّ الحفرة ما هِى إلاّ بوّابةٌ لسرْداب طويل. فى آخره بابٌ مغْلق. حاول الوقوف مرَّةً ثانية . وبعد جُهْدٍ أفلح. ثمّ توجّه نحو البب يحدِّثُ نفسه هلْ أفتحُ هذا الباب لعلّنى أستطيعُ منْ خلاله الخرُوج منْ هنا والنجاة؟ لا.. لا.. فقدْ لا تكونُ النجاةُ. وقدْ يكونُ منْ ورائه الهلاك . ثُمَّ قال: بلْ سأفتحُه وأمْرى إلى الله

حاولَ فتح الباب. لكنَّه لمْ يستطعْ. حاولَ ثانية. فإذا بالمكن يهتزُّ اهتزازا عنيفا. وشعر أمير بدوار. فاستند إلى الحائط حتّى يتمالك نفسه

ولمَّا انتبه. فوجئ أمير بالقزم اللُّعْبة يتقدَّمْ نحو الباب الذى انفتح أمامه على مصْرَاعيْه.. ودخل القزْم.

تسمَّرت قدما أمير. فى حينَ تحرّكت عيناه. لترى المكن. بهوا واسعًا. تزينت جدرانُه بنقُوش جميلة ودقيقة. تشبهُ كثيرًا النقُوشَ التى كان يراها فى المعابد الفرْعُونية بألوانها الزاهية.. وتتدلَّى منْ سقْفه مصابيحُ كالشمُوس. لمْ ير مثلها منْ قبْل. ويستندُ ذلك السقفُ إلى أعمدة رخاميّةٍ. مرصَّعة بأنواعٍ شتَّى من الأحجار الكريمةِ. متناسقة الألوان شديدة الجمال وفى صدْر البهْو كرسىٌّ كأنهُ

عرْش لأحد ملوك الأقزام كان مرصعــا بـالجواهر واللآلـئ والأحْجــار الكريمـة. تعكسُ بريق أخّاذا عند سقُوطِ الضوءِ عليــها أحجــرٌ متنوعـةٌ فـهذا يـاقُوت. وهذا مرْجان. أمّا ذاك فهو زمــرُّدٌ بـألوان مخْتلفـةِ منسجمة الله.. يـْ لـه مـنْ كرْسي رائع..

على جانبي البهْو تراصّت الأزاهيرُ المحملةُ بزهُــور لمْ يـر مثلـه. تنبعـثُ منها رائحةٌ عطرةٌ نظر أمـير تحـت قدميْـه المسمّرتين. فـرأى بُسْـطا حريريّـةً كأفخم ما تكونُ البسُط. وفي وسطِ البهْو كانتْ هنـاك مأْدُبـة عليـها مـنْ جميـع أصنافِ الطعَام. تنبعثُ منها الروائحُ الطّيبة والأبخرة. وكأنما وضعت في التّو حدّث نفسه «يا للدهشة والعجب.. ما هذا وأين أنا؟!»

وجد أمير نفسه أمام لعبته المحبُوبة.. وقدْ دبّت فيـها الحيـاةُ متحوّلـةً إلى قزم عادىٍّ يتحرّكُ مثله مثْل بقية الأقزام.

جلس القزمُ على الكرْسى الفخْم المزيّن بالأحجار الكريمة. قائلا لأمير:

– أقبل يا أمير اقتربْ منّي..

لمْ ينطقْ أمير ولمْ يتحرّك. فإنّ المفاجأة قد عقدت لسانه وقيــدتْ قدميْـه.. قالَ القزْم:

أقبلْ ولا تخفْ. سوف أشرحُ لك كلّ شيء.

تقدم أمير بخطوات بطيئة. جلسَ إلى جوار القزْم الذى قدم إليْه ورقـةً مـن البرْدى بدتْ قديمة جدّا وقال

اقرأ هذه.

نظر أمير في الورقة. واستطاع بصعُوبة أنْ يتبين المكْتُوب..

«من الملك سمْعانَ إلى ولده البطل كينّان. وبعد.

آن الأوانُ لتملك الزمان والمكان. بعد أن تعُود منْ غربتكَ التى اخترتها بإرادتك. ولعلَك عُدتَ بزادك من العلْم والمعْرفة كما تمنّيْت. فإنْ كان المرادُ. انتشرت الأفراحُ في البلاد. وعمّ الخبرُ واليمْنُ وزادت الخيرات. وإنْ لمْ يكنْ ولمْ يُقدّرْ لك العودةُ.. فسوف يسود الظلمُ والطغيانُ من السحرة والكُهّان كنْ كما عهدْتُك شجاعا بطلا مغْوارا. وضعْ بلادك نُصْب عيْنيْك

ولدى كينان:

بمجرد دخولك إلى هذا المكان. سوْف تعُودُ إلى سيرتك الأولى. ويبطلُ سحْرُ كبيرُ الكُهّان. فهذا هُو الوعدُ والرهان. تعودُ ب ولدى بشحْمك ولحمك لتؤدّى رسالتك نحْو أهلك وبلدك

انتظرْنا عودتك طويلا. وأعدّت أمُك لك طعاما يكونُ زادك عنْد عودتك. فهنيئا لك. وأخيرا. خاتمُ الملكْ في الخزانة بجوار مخْدعك.. وسنكونُ معك دائمًا برُوحنا إنْ كنت بحاجة لنا..»

«أبوك الملك سمعان»

بكى أمير بعْد قراءته لتلك السطُور. قال لهُ صاحبه

لا تبك يا صديقى. إنها مكتوبةٌ منذُ زمن بعيد وأحمدُ الله أننى عدتْ إلى بلدى على يديْك.

تساءل أمير

– ولكنْ ماذا يقصدُ والدُك بقوْله «تعودُ منْ غُربتك التى اخترتها بإرادتك»؟

ردّ كينان:



- في صبَاى، لمْ يكنْ يعجبنى أنْ يلجَأ الناسُ للسحرَة والكــهان فــى كُـلِّ الأمور، ببنما لا يُعْمِلُون عقُولَهم ولا يفكِّرُون..

- نعم، لقدْ رأيت ذلـك بنفْسـى عنـد سـيدة الأخبـار، فالنـاسُ يزدحِمُـون عندها بشكْل كبير

استمرَّ كينان فى حديثه، كنتُ أدْعُو الناس دائمًا بالبعْد عنْ هؤلاء الكهنة، إذْ كانُوا يسلُبُون الناسَ مالهُم وأشياءهُم، وكثيرًا مـا ضلَّلُوهـم.. وكنـتُ أعلـمُ أنَّ العلمَ هُو السبيلُ الوحيدُ للخلاص منْ هذا الجهْل، كما كنتُ أحـبُّ أنْ أتعـرف على الأشياء بنفْسى، فرأيتُ أنْ أسافرَ ففى السفر سبْع فوائد .

- وماذا فعلْت مع هؤلاءِ السَّحرة والكُهَان؟

رأوا أنْ يتخلَّصُوا منِّى، وبعْـد أنْ غـادرْتُ البـلاد، ولمْ أكـدْ أهبطُ أرض مصْر، حتَّى سحرَنى أكبرُ الكهنة إلى تلك اللعبة.

قالَ أمير

وبذلك يضمنُ عدم عوْدتك للبلاد ثانيةً ولا يذهبُ سحْرُه أبدا .

نعَم لا أعودُ إلى طبيعتى إلا إذا

- إلاَّ إذا ماذا؟

- إلاَّ إذا رجعت إلى هُنَا أرْضى وبيْتى وكمـا رأيـتُ فإنَّـه عندمـا تنفسْـتُ هواء بلادى عدتُ كما كُنت، وإنى أعتقد أنَّ لأمى الملكة يدا فى هذا

كيف ذلك؟

إنهُ الضوءُ الذِى صدر منْ عيْنـى ومـلأ المكـان، هـو السـحرُ الأبيـضُ الـذى كانتْ تجيدُه أمى الملكة، لتبطل به بعضَ أعمالِ الكُهَّان وسحرهم الأسْود

ألمْ تقرأ الرسالة؟!

فقدْ وعدتني هي وأبي أن يكونا إلى جوَارى بروحهما.

قال أمير متعجّبًا: وأنا كنتُ أظنُّ ذلك الضوء هو اللّيزر!!

هذا إذنْ بيتك . وها قدْ عدتْ سالما يا للعجب، ولكنك سقطْنا إلى هُنا مصَادفةً دون ترْتيب!!

نعم يا صاحبى. نعم

يا لها منْ حكاية أقربُ إلى الخيَال

- إلى أنْ كان يومُ لقائنا، فأحببتنى وأحببْتُك، وصرنا صديقين لا نفترقُ أبدًا.

سرح القزمُ بخياله قائلا لقدْ كانتْ لنا أيّامٌ حلْوةٌ، حُفرت فى ذاكرتى ولنْ أنساها

وبينما الصديقان يسترْجعان معًا ذكرياتهما، فى جوٍّ تملؤه المحبّةُ والألفةُ فإذا بأصوات تأتى من الخارج تُنادى أمير يا أمير.. أين أنت يَا أمير؟

تذكّر أميرُ أنه مازال فى تلك الحفْرة، وقدمه لا تزال تُؤلمُه.. إنهُ صوتُ أصدقائهِ يبحثُون عنْه، ولابدَّ أنْ يخرج إليْهم

استند الأميرُ إلى كتف صديقه، فى حين أشار كينانُ إلى بابٍ خلْفى يُؤدّى إلى الغابات، ليخرج منْه أمير الذى قال.

- لنْ أتأخر، فلابدَّ أنْ يطمئنَّ أصْدقائى علىّ، وسوْفَ أعُود

ودّع الصديقان بعضهُما على أن يعُودا إلى مجْلسهما.

خرج أمير ورأى أصدقاءه يحملون المشعل ويجوبون الغابات وما إنْ رأى الأقزام صديقهم حتى هلّلوا وتقافزوا، يقبّلونه. ويهنّئ بعضهم بعض على سلامة الغائب..

تساءل واحدٌ

أين كنت؟

قال آخرٌ.

كدْنا نفقدَ الأمل في العثور عليْك.

تساءل ثالث:

ولكنْ أيْن لُعْبتُك؟

أجاب أمير:

– فلنجْلسْ أوّلاً فتلك حكايةٌ طويلة

●●●

جلس أمير يحْكي لأصدقائه عنْ وقوعه ولُعْبته. والسرداب والبهْو الواسع. اندهشوا عندما سمعُوا منْ أمير عن رسالة الملك سمعان إلى ولده كينان. وحكايته مع السحرة والكهّان استمع الأقزامُ إليْه وكأنما يستمعُون إلى حكاية منْ نسْج خياله. قال القزم الأوّلُ متعجب.

ماذا تقُولُ؟! لعبةٌ تتحوّلُ إلى إنسان؟!

أتقُولُ ملكا اسمه سمعان. ولهُ ولدٌ اسمُه كينان. لقد جئتنا بما لمْ تسمعْهُ آذان.

– نحنُ منذُ القديم لا نعرفُ سُلْطان إلا سُلطن السّحرة و لكهّان

لا. لا. لابدّ أنّ السقْطة أثّرتْ عليْك

هيّا هيّا بنا لنذهب إلى أكبر الكهن. لنرى ما حدث لكَ. لقدْ كُنْت عاقلا حتّى الآن.

أخذ أمير يضحكُ ويقُول

- ألا تصدِّقُوني.. أقسمُ لكُم أنّ ما أقوله هو الحقيقة.

وقال واحد.

خسرتك يا أمير، كنت ذا فصاحة وبيان

ردّ أمير مؤكّدا:

- إذنْ هيّا بنا.. هيّ لتتأكدُوا بأنفُسكم. ولترى أعينكُم ولىّ العهْد الملك كبنان.

همس قزمٌ لأخوته:

- أنا غيرُ مصدق لتلك القصة التي يقصها علينا. فماذا نحنُ فاعلُون؟

قال آخر:

لكنّه صديقنا ولا يمكنُ أنْ يكذب علينا؟

قال ثالث.

- هيّا معهُ لنرى صدقَ ما يقول

توجّه الأقزامُ مع أمير. ليتأكدُوا منْ صدْق حديثه وسلامة عقْله. فتوجّهوا إلى الباب الخلْفي. واستأذنُوا في الدخُول. انفتح الباب . فوجدُوا أنفسهُم داخل

السِّرْداب الذى وصفه أميرُ وانفتح الباب فوجدُوا البهوَ الواسعَ.. لكنْ أينْ الملك؟ أين صاحبُ هذا العرْش؟ لقدْ صدق أميرُ فى شيء، ولكنّه لمْ يصْدق فِى آخر

لمْ تُطل لحظةُ التحيُّر. وما هى إلاَّ لحظة ثانية حتّى وجدْوا أنفُسهُم أمام الملك صاحب العرش. نعم إنهُ هو كما وصفه أمير بالتّمام. رجلٌ عادىٌ. قزْم مثْلهُم. يشبهُ كثيرا لعبتَه التى كانت. على رأسه تاجٌ رائعٌ برّاق. لمْ يروْا مثله ولا عنْد أكبرِ الكُهّان.

همس أحدهم قائلا.

– يبدُو أنّ أمير صادق. وعقْله سليم.

أضاف آخر:

لقدْ أسأنا إليه بظننا فيه وعدم تصْديقنا له

دعا الملكُ كينان جميع الأقزام إلى الجلُوس إليْه. فجلسُوا دُونما كلام. وكأنما نزلت بهِم السّهام. أراد أمير أنْ يخفف منْ أثرِ المفاجأةِ وصدْمة المواجَهة. فقال متضاحكًا وهُو يُشير إلى الملك:

– ألا تروْن أنه نفْس اللُّعبة، ولكنّ الملك لا يخرجُ منْ عيْنه ضوء!

ضحِك الأقزامُ وضحك معهُم الملكُ كينان. وبدأ الصّديقان أمير والملكُ كينان يروبان إلى الأقزام حكايتهْم معًا منذُ لقائهما حتّى الآن. واستمع لهُما الأقزامُ وقدْ جذبتْهُم طرافة الحكايات. فتعالتْ بينهُم الضحكاتْ. وساد جوٌّ من المرح والسرُور. نسُوا معه أنفسهُم والزمان والمكان.

تساءل أحدُ الأقزام:

– والآن يا. ي ملك الزمان وسلطن العصْر والأوان. ماذا في خُططك ونيتك لك ولبلادنا؟

ردّ كينان:

– أودُّ أوّلاً أنْ أشكر صديقنا أميرا إذ احتميتُ في داره وشاركته في كل شيء لولاهُ ما كنتُ بينكُم الآن. وإني أعرضُ عليْه أنْ يكونَ وزيري ومسْتشري. لهُ ما يشاءُ منْ مال وأرْض. كما يُبنى له قصرٌ بجوار قصْري ولهُ الخيارُ. منْ قبلُ ومنْ بعْد

اندفع قزمٌ قائلاً:

– قلْ نعم يا أمير.. وافقْ يا أمير

في حين سكت أميرٌ ولمْ يرُد

أضافَ الملكُ كينان:

وإنّه لقرارُ الملك كينان بتعْيين السبْعة أقزام مسْتشارين وعُيُونا للملك في كلِّ مكان. والإعْلان في التَّو. والآن عنْ قيامِ دوْلة كينان

هلّل الأقزامُ صنحين

– الشكرُ لملِك الزمن الشكرُ لملك الزمن.

وسأل آخر.

– وماذا تعني الدولةُ هذه ي موْلاي؟

ردّ الملك:

– نظامٌ لحكْم البلاد وفق قوانين لا يخرُجُ عليها إنسن. مهْما كان له منْ عظيم الشأن لا حاكم ولا سُلْطان.

– ولكنْ م هُو دورُنا.. فلتقسِّم علينَا أعمالنا

ردَّ الملك

– هذا أترُكُه لكُم. فلبنخيُرْ كلٌّ منكُم عمله، ليكون عليْه الجـزاءُ الكبـيْرُ إنْ كانَ منْه أىُّ تقْصير

قال أصغرُ الأقزام:

أنا أحبُّ الزِّراعَة وأزرع أجود المحاصيل

قال الملك:

– فلتكنْ إذا وزيرا للزراعَة.

قال آخر

– وأنا أحبُّ الصناعة، لأصنع ملابس مِثْل ملابس صديقنا أمير، وليرْتدى أهلُ بلادنا الثِّياب.

ردَّ الملك:

فلتكنْ إذًا وزيرا للصِّناعة.

وقام الأقزامُ الآخرون بتخيُّر أعمالهم بأنفُسهم.

وهنا قال الملك:

– الآن علم كلٌّ منكُم عمله، فهيَ لبناء أركان دوْلتنا

قال أكبرُ الأقزام:

– أمرُك يا ملك الزمان، ولكنْ ماذا عنْ بقية القبائل؟ فنظامُ الدولـة جديـدٌ عليْنا

تساءل قزمٌ آخرٌ

– وماذا عن السحرة والكُهّان؟

ردّ الملكُ كينان:

إنّ حربنا الأولى هي القضاءُ على السحرة والكهان. فلتدرْ عليْهم الدائـرةُ منذُ الآن

نعم يا موْلاى. ونحنُ إلى جوارك ومنْ ورائك نشدُّ أزرك ونعـاونك. والله المسْتعان

وقال آخر:

– إذا لابدّ أنْ تلْتقي بعامّة الناس وبقية القبائل. فهيّا لنبدأ من الآن.

●●●

دار حوارٌ طويلٌ بين الملك والأقزام. بينما كان أمير مشغُولاً بـأمْرٍ خطـير. وهُو ما عرضه عليْه الملكُ كينان منْ جاه ونفوذ وسلْطان فتخيّل نفْسه مقيمًا فـي قصْره. ومنْ حوْله الخدمُ والحشم. فهذا يسـاعدُه فـي ارتـداء ملابسـه. وثـالثٌ يضعُ التاج على رأس الوزير «أمير» والجميعُ يتمنّـى رضـاه والمثُـول بـين يديْـه. وفي النهار يعملُ ويجدُّ ويقْضي حوائج الناس. وعنْد اللّيل يجدْ متعتـهُ ولهْـوه. وإذا ما أراد النوم. لهُ جاريةٌ تقصُّ لهُ أجمل الأقاصيص وتحْكي له الحكايات. وبين يديْـه عـازفٌ يعـزفُ أعـذب النغمـات . الله. الله. أليـس تلـك أعظـم الأمنيات؟!

وبينما كان أميرٌ سارحًا في ذلك التفكْـير. كـان الأصدقـاءُ قـد اسـتبقُوا إلى الباب. لتنفيذ ما اتفقُوا عليْه مع الملك كينان. وهـو الإعْـلانُ عـنْ دوْلـة كينـان. وما إنْ خرجُوا حتّى وجدُوا الغابات قد اشتعلت بها النيران. فتذكر الأقزامُ أنهُم

قدْ نسوا مشاغلهم عندما رأوْا صديقهُم أمير. ونسْوا أنفسهم أيضــا عندمــا حكــى لهُم حكايته مع لعْبته والملك كينان وانشغلُوا به عمّ بأيديهمْ. يَ لها منْ كارثة. ستْرك يا ستّار!

تخبط الأقزامُ فى بادئ الأمْر. فذاك راشحٌ.. وذاك غـدٍ. ولا يـدرْون مـاذا يفْعلُون. وهنا كنتْ صرخةُ الملك كينان

أسرعُوا إلى البحيْرة.. أسرعُوا إلى البحيْرة.

أسـرع الأقـزامَ إلى بحيْرتـهم. وهـى بحـيْرةٌ مسْحُورةٌ. وأسـرعت النســاءُ والأطفالُ أيضــا لمسـاعدة الرجـال. وقدْ أتـوا بـالأوانى يملئونـها مـن البحـيْرة. ويتناقلُونها فيما بينهُم. ثم يفرغُون الأوانى علــى الحريـق. وقسّـم الملـكُ رجالـه مشيرا إليْهم:

– اذهبْ أنت مع نفر من الناس لإنقاذ الأجران والزّرْع

– أمّا أنت فخذْ منْ يساعدُك لإنقاذ الأكواخ وم فيها منْ صغار.

صرخ أحدُ الأقزام

ولدى.. آه يا بُنىَّ. ولدِى داخل الكُوخ

رأى أمير الرجُل يدخلُ الكُوخ المشتعل. لينقذ صغيره دونم خوْف ولا هلع. ولمْ يخرجْ الرجلُ إلاَّ ومعه فلْذة كبده. وقدْ أنقذه فحمد ربّه وشكر نعْمته.

شعر أميرٌ بالتّعب. واشتدَ به العطش. فجلس على حافــة البُحـبْرة. بغمُـرْ رأسه بمائها. وينهلُ بكفيْه حتّى ارْتوى. انطفأ الحريق. وتلفّت الأقزامَ حولــهُم باحثين عنْ أمير. فلمْ يجدُوه. تساءل واحد من الأقزام:

– أين أمير؟

– أين ذهب.. لقد كان هُنا منذُ لحظة.

سمعَهُم أمير فقَال:

– أنا هنَا.. أنا هنَا بجوَار البُحيْرة.

سمِعَ الأصدقاءُ صوْتَه لكنهُم لمْ يروْه.

– أنا هنَا.. بجوار الصَّخْرة.. ألاَ تروْنى؟!

ولَمَّا دققُوا النظرَ حوْلَهم، لمْ يـرَوْا إلا قزمًـا صغـيرًا جـدًّا، لا يتعـدَّى طولُـه القدمَ الواحِدَ، فتعجَّبُوا قائِلين: أأنتَ أمير؟؟!!.

– مَاذَا حَدَثَ لَك؟

نظرَ أميرٌ إلىَ نفْسِه.. يديْه.. قدميْه.. وقَال:

– لا أدرى.. لا أدرى، كنتُ عاديًّا منذُ لحْظة!!

لمْ يتعجبْ الأقزامُ طَويلاً، فقدْ أدركُوا عَلـى الفـور أنَّ أمِـيرَ قـد شـرِبَ مِـنْ بحيْرتِهم المسحُورةِ التِى تسحرُ الغربَاءَ إلى أقزَام.

قالَ أحدُ الأقزَام:

– لقدْ صَغُرْتَ يَا أمير لأنكَ شربْتَ مِنْ مائنَا المسْحُور.

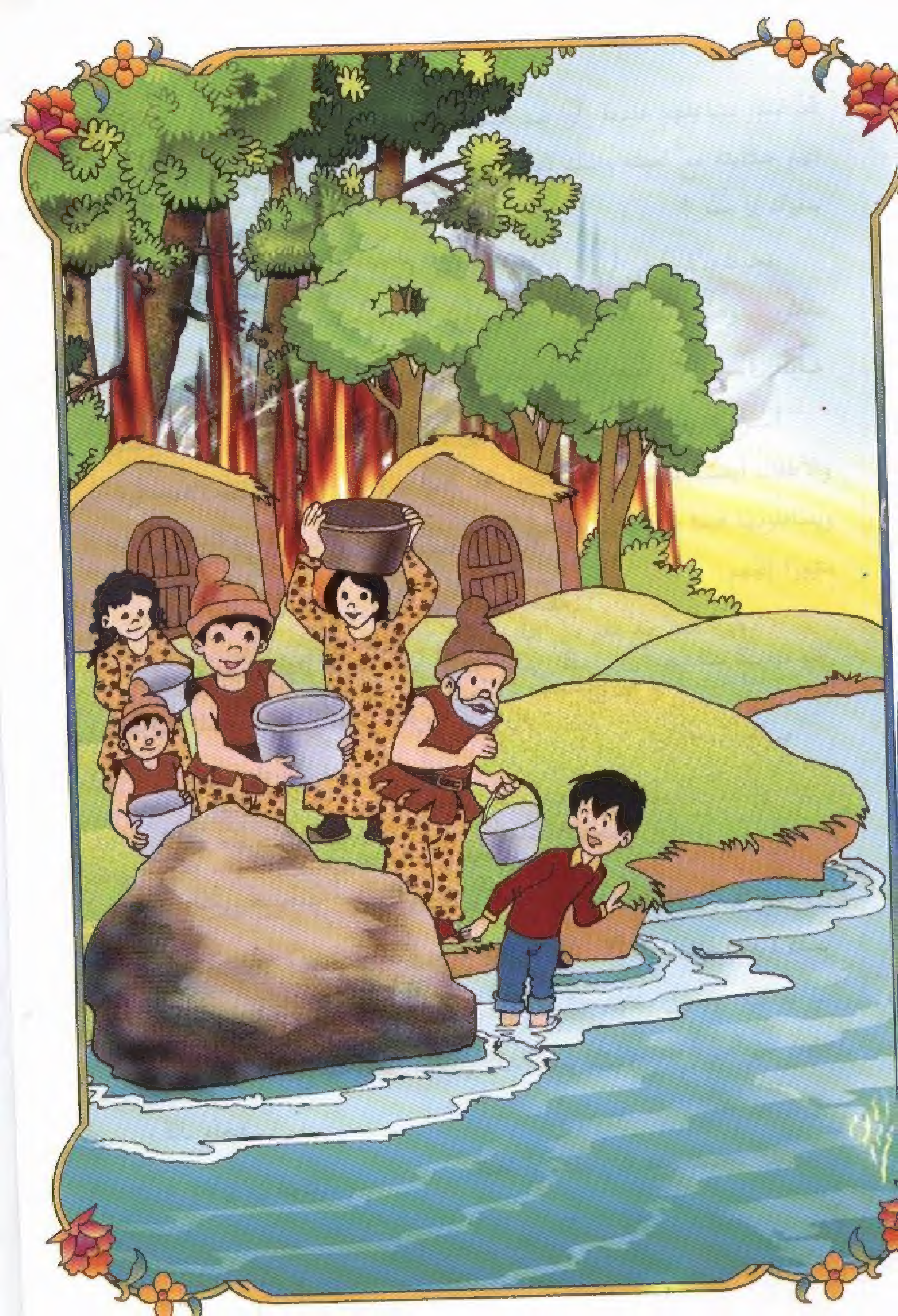
– ولكنِّى أصبحْتُ قصِيرًا.. قصِيرًا.. صرتُ أقصر منْكُم جَمِيعًا.

قالَ الأصدقاءُ لأمير: إنَّ قِصَرَ طُوله الشَّدِيدِ هذا، لأنَّـه شـرِبَ كثـيرًا كثِـيرًا ولأنه أيضا غمَسَ رأسَه بالمَاء.

– انفجرَ الجميعُ ضَاحِكين مهَلِّلينَ لأنَّه أصبحَ مثلَهُم.

قالَ واحد:

– والآن لن تترُكنَا.



قال آخر:

- نعم لنْ تذهبَ إلى بلادِكَ، فقدْ أصْبحْتَ مِثلَنَا.

وقال ثالث:

- لنْ نتركَكَ تعُودُ.. لنْ تَعُود.

تذكَّرَ أمير والديْه وأخْتَه، وكيفَ أنه بعيدٌ عنْهم، وأنه بهذا التحوُّلُ قَد ابتعَدَ أكثرَ وأكْثر، وقالَ فِي نفْسِه: ربمَا يصبحُ مستحيلاً أن أعودَ إليهم ثانية، يبدُو أنِّي سوْفَ أقبلُ عرضَ كينان الملك.

وعَلى الفور، تذكَّر الرجلُ الذِى دخَلَ النيرانَ منذُ سَاعة، ولَمْ يعْبأ بمَا قدْ يحدُثُ لَه حتَّى ينقذَ ولَدَه وفلذَةَ كَبده، تذكَّر فرحَتَه الكبرَى عندمَا وجدَ ابنَه سليمًا مُعَافًا. فقالَ أمير فى نفْسِه: لابدَّ أنَّ أبِى مشغولٌ عَلَىَّ، وأمِّى حزينَةٌ لفقْدِى. لا.. لابدَّ مِنْ عوْدَتى.

رأى الأقزامُ سكُوتَ أميرٍ، تَسَاءلَ واحدٌ:

- مَا بَالك يَا أَمِير؟

- هلْ أنتَ حزينٌ لأنكَ أصبحْت قزمًا؟

- ألاَ تودُّ أنْ تبقَى معَنَا.. ألمْ تحبنَا؟

قَالَ الملِكُ كينان:

- نحنُ فى حاجَةٍ إليكَ يَا أمير..

ثمَّ أضَافَ: إنَّ لك الخيارَ يَا أمير فِى عوْدتِكَ أو البقاء معَنَا.. وسوفَ يدومُ الودُّ بيننَا.. ولنبقَ أصدقاءً وأنا أكررُ عَرْضِى عليْك، فإنْ أردتَ العودَةَ إلى هيئتك

الأولى لتعودَ إنسانًا عادِيًا، فمَا عليكَ إلاَّ أنْ تغتسِلَ فِي البحـيْرةِ ثـلاثَ مـرَّاتٍ، وبعدهَا تعُودُ كمَا كُنْت.

وقفَ أميرٌ أعْلى الصَّخْرةِ المجَاورَةِ للبحَيْرةِ، وقَال بصوْتٍ مرْتفع:

– أحبَابِي وأصْدقائِي استمعُوا إلىَّ.. ولمْ يكدْ أميرٌ يكملُ عبارَته، حتَّى وقع مِنْ فوْقِ الصخْرَة.. ويَا لهَا منْ وقعة، وقع منْ فـوقِ سَـريرِه عَلـى أرْضِ غرْفتِـه، محدِثًا صوتًا وجلَبَة.. استيقظَ عَلى أثرها أهلُ البيتِ، وأسرعَت إليْه أخْتُه أمَاني صائحَةً:

– أمير.. أمير.. مَالك.. مَاذَا بِكَ؟

ولمْ يدْرِ أمير في بَادِئ الأمْر أينَ هُوَ.. وبحثَ عنْ لعبتِهِ فوجَدَها، لكنْ فِي غيْرِ مكَانِهَا.. تساءلَ فِي نفْسِه: هلْ كـانَ يحلُـم؟. ولـمَّا التفـتَ إلى الحَـائِطِ رأى الأقزَامَ السَّبْعَةَ يبتسمُون لَه ابتسامَةً لمْ يرهَا منْ قبلُ، فقد تلألأت معهَا أسنَانُهم حتَّى أضاءَت المكَان، فقامَ ومسحَ بيديْه عَلى صُورةِ الأقزَام، وأعْطَـى كـلَّ واحـدٍ منْهم قُبلَتَه التِي اعتادَ عليهَا كلَّ صبَاح، فلمعَتْ عُيُونُهم وتبسَّمَت ثُغُورُهم.

هبَّ أمير نشِيطًا يستعدُّ للذهابِ إلىَ مدْرَسته، وحكَى لأصْدِقَائِه مَا كَانَ مـنْ حلْمِه الجمِيلِ حتَّى تمنَّى بعضُهُم، أنْ تأتِيَ إليهم الأقزَامُ فِي منَامِهم!